الألوهية بين الفكر الديني القديم والماركسي الحديث

د/ أرزاق فتحي أبوطه
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر فرع البنات بالقاهرة

الألوهية بين الفكر الديني القديم والماركسي الحديث

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين النبي الكريم الذي بعث بالإسلام رحمة للعالمين وهو الدين الإلهي الذي ارتضاه الله لعباده القائل وقوله الحق : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **آل عمران** :﴿٨٥﴾.

وبعد

قضية الألوهية من أهم القضايا التي احتار فيها العقل البشرى على مر العصور واختلاف البيئات والمجتمعات الإنسانية، فقد كان حدوث فترات ما بين نبي ورسول ونسيان الخلق دعوات التوحيد التي نادى به الانبياء والرسل في مختلف الأزمان والأماكن إلى اختلاف التصور للإله فالإنسان البدائي قد بهرته أسرار الموت والحياة ، وبهرته القوى الخفية التي تهيئ له الغذاء والرعاية وكل مقومات وجوده البشرى ، وبهرته القوى المتسلطة على الطبيعة . ولذا فقد أعوزته المعرفة الكافية لإدراك الأطوار الطبيعية في الكون ، والنواميس التي لم تدخل في نطاق مشاهداته ، اضطر أن يبتكر شتى الوسائل لتوطيد علاقات ودية لاسترضاء القوى المسيطرة على هذه الظواهر الخفية التي أحاطت به وتتحكم في مصيره . كان هذا هو التفاعل الذي أحس به الإنسان البدائي في اختياره العناصر الخفية التي لم يقو على تأويلها والتنبؤ بها ،والتي أدخلت الرهبة والخشية إلى نفسه . وبهذا فقد اضطر للإفصاح عن هذا الإحساس عن طريق إقامة الطقوس والممارسات لتوطيد العلاقة بينه وبين هذه القوى المغدقة عليه الحياة وعلى أن يكون حريصًا على أن تكون هذه العلاقة قائمة على المودة والولاء منها لهذه القوى[1] .

---

(1) أنظر أديان العالم الكبرى ص 13 بتصرف.

ولهذا فقد عبد الناس مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضرر ، فألهو البقر والرعد والبرق . ثم انتهى بهم الأمر إلى تأليه كل قوى الطبيعة ومن هنا كانِ تعدد الآلهة (1) .

وعلى الرغم من أن هذه الآلهة تمثلت في قوى الطبيعة أو غيرها إلا أنها تدل على انسياق الناس وراء فطرتهم التي فطرهم الله عليها وهى التدين .

وفى المقابل نجد البعض أنكر وجود الإله وكان ذلك على مختلف الأزمان والأماكن ويبدو ذلك تعسفا منهم واعتزازا بالنفس ولكننا قد نلتمس لهؤلاء العذر في بعدهم عن الصواب خاصة إن كانوا في زمن بين رسول ورسول وهؤلاء من يطلق عليهم أهل الفترة فقد توالت رسالات الأنبياء ودعواتهم إلى وجود الله وتوحيد وكونه هو المستحق للعبادة ولكن قد تبعد الفترة بين دعوة وأخرى مما يؤدى إلى انحراف الناس عن التوحيد ويلجأون إلى التعدد في الآلهة أو يلجأون إلى الإلحاد وإنكار وجود الله ولكن لو فكر هؤلاء ورجعوا إلى فطرهم السليمة التي فطرهم الله عليها لعرفوا الله تعالى ولكن وإن كنا نقول ذلك مع هؤلاء وإن كان لهم العذر كما ذكرنا فكيف نقول لمن أنكر وجود الله بعد اكتمال الرسالات وبعد ظهور اليهودية والمسيحية ودعوتهما لعبادة الله وختام ذلك بأكمل الرسالات وهى الإسلام وظهور الآيات الكونية التي اتفقت مع الآيات القرآنية وبيان صدق محمد صلى الله عليه وسلم وبالرغم من ذلك أنكروا وجود الله تعالى وأنكروا وجود شيء يسمى الدين وأن الإله من صنع الإنسان على ما سيتضح .

والآن سوف نستعرض أشهر الديانات القديمة لنتعرف على تصورها للإله وكيف ارتبط ذلك بالبيئة التي يعيشون فيها .

---

(1) أنظر العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ص 3.

بداية نقول : الفكر الإنساني سلسلة متصلة الحلقات ، يتصل فيها الماضـي بالحاضـر، ويتـأثر فيهـا اللاحـق بالسـابق ، وقـد يكـون التـأثر بالإيجاب ، أي يردد اللاحق أفكار السابق عليه ، وقد يكون التأثر بالسلب ، فيقف اللاحق موقف الناقد والمعارض لأفكار السابق . وهذا يعنى أنه ليس هناك فكر مبتور الصلة عن من سبقه ولا يؤثر فيمن بعده ، ويمثل الجانب الديني أو الإلهي في الفكر الشرقي أهم جوانب الحياة ولا يمكننا أن نتحدث على أي جانب من جوانب الفكر الشرقي القديم بعيدًا عن الدين . وبهذا فلم يعرف التاريخ نظرية فلسفية في الشرق القديم مستقلة عن الدين وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على عمق الجانب الديني وتوغله في الفكر الشرقي القديم حيث ارتبط وسيطر على كل جوانب الحياة ونستطيع أن نرى ذلك بوضوح عند الحديث عن الديانة المصرية القديمة وكيف ارتبط الجانب الديني عندهم بكل مظاهر الحياة وما بعدها أيضا وهذا ما سأحاول توضيحه فيما يأتي :

الجانب الإلهي في الفكر المصري القديم :

سيطر الدين في حياة المصري القديمة سيطرة كبيرة فلا يوجد عمل من أعمالهم الخاصة والعامة إلا وكان للدين مدخل فيه وهذا يدل على شدة تدينهم واحتلال الدين المركز الأول في كل جوانب الحياة لديهم يقول هيردوت :" إن المصريين أشد البشر تدينًا ، ولا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه ، فإن صورهم بجملتهم تمثل أناسًا يصلون أمام إله ، وكتبهم في الجملة أسفار عبادة ونسك " . فقد اهتم المصريون اهتماما بالغا بكل الأمور المتصلة بالعقيدة وقد بنى هيرودوت حكمه هذا من واقع ملاحظاته الشخصية لمدى الحرص الذي يؤدون به طقوس عقائدهم والتي تهدف في جوهرها إلى

عبادة الآلهة .. كذلك من الطاعة التي يظهرونها للكهنة الذين ينقلون لهم ما توحي به هذه الآلهة من فروض وأوامر (1) .

وقد علق د / محمد أبو زهرة على كلام هيردوت بقوله : وذلك كلام حق – فتلك الآثار الباقية التي تحكى لنا حياة المصريين جلها – قام على أساس من التدين والاعتقاد ، ولولا انبعاث هذا الاعتقاد في النفس ما قامت تلك الأهرام، ولا نصبت تلك الأحجار ، ولا شيدت هاتيك التماثيل التي لا تزال تسترعى الأنظار بجمالها وزخرفها وروعتها ، وقوة بنيانها (2) .

ويتحدث ول ديورانت في نفس هذا الشيء بشكل آخر حيث بقول : لقد كان الدين فى مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه . فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحله وفى كل شيء من أشكاله . من الطواطم* إلى علم اللاهوت . ونرى أثره في الأدب وفى نظام الحكم وفى الفن ، وفى كل شيء (3) .

وشدة التدين هذه لم تتغير ولم تتبدل بتغير الزمان وتغير الاعتقادات فقد كانت ديانة المصريين تتغير وعقائدهم تتبدل تبعًا لسنة الله في الأمم والكون ما دامت ديانتهم لم تعتمد على أصل سماوي ، بل إن الديانات السماوية نفسها قبل الإسلام كان يعروها التحريف والتغيير والتبديل ، وتفهم على غير

---

(1) أنظر: والاس بدج (آلهة المصريين) ترجمة : محمد حسين يونس ص23.

(2) أنظر أبو زهرة : الديانة القديمة ص 7.

* وهو نظام تديني يرجع إلي تقاليد بدائية اتخذتها الامم الغابرة في بطون التاريخ لها نظاما .. إذ جعلت بعضًا من الحيوانات أو النباتات رمزا لها ثم لقبا لجمع أفرادها ثم قدسته وعبدته . أنظر : إلياس انطوان إلياس :القاموس العصري ص 741 ، وراجع :د. علي سامي النشار :نشأة الدين ص90–151 ،وراجع ،د. علي عبد الواحد : الطوطمية ص 7–9 ، وراجع :د. رؤوف شلبي : الأديان القديمة في الشرق ص 250 ،251.

(3) ويل ديورانت : قصة الحضارة ج2 ص 155.

وجهها عند ما يكون الناس على فترة من الرسل [1] .

هذا كان استعراض لبعض الآراء التي قيلت عن الدين عند المصريين بشكل عام وبشيء من التفصيل نتحدث عن الآلهة التي عبدها المصريون القدماء وما هي أشكال العبادة لديهم .

آلهة المصريين القدماء :

لم يكن المصريون على عقيدة واحدة أو إله واحد بل تعددت الآلهة فكانت مكانة الإله تتبع مكانة المدينة التي يعبد فيها ،"فلم توجد قرية لها شيء من الأهمية ، دون أن يكون لها آلهتها الخاصة . ولم تكن حاضرة كل إقليم أو مقاطعة.. هي وحدها التي لها آلهتها ولكن كذلك كان للتجمعات الصغيرة في داخل المقاطعة آلهة مختلفة"[2]. ولم تكن الآلهة على مرتبة واحدة بل كانت على عدة مراتب بعضها فوق بعض ، فكانت بمثابة سلسلة مراتب إلهية تتبع مراتب المقاطعات السياسية [3] وكانت السماء والنيل من أهم أرباب المصري القديم فقد ظلت هي والنيل أكبر أربابه إلى آخر أيامه . ولم تكن الأجرام السماوية العجيبة ، في اعتقاده مجرد أجرام ، بل كانت تنتهي الصور الخارجية لأرواح عظيمة ، لآلهة ذوات إرادات [4].

كذلك عُبد القمر في مصر القديمة واتخذه المصريون إلها ولعله كان أقدم ما عبد من الآلهة في مصر، ولكن الشمس في الدين الرسمي كانت أعظم الآلهة ، وكانت تعبد في بعض الأحيان على أنها الإله الأعلى " رع " أو الأب اللامع الذي لقح الأم الأرض بأشعة الحرارة والضوء النافذة [5] .

---

(1) نفس المرجع السابق ونفس المكان.

(2) فرانسوا ديماس (آلهة مصر) ترجمة : زكي سوس –ص36.

(3)أنظر أبو زهرة : الديانة القديمة.

(4) ويل ديورانت : قصة الحضارة ج2 ص 156.

(5) المرجع السابق ص 156.

نلاحظ مما سبق أن المصريين القدماء عبدوا كل ما كان له تأثير في حياتهم فالسماء تغدق عليهم بالأمطار وتوجد بها الشمس التي هي مصدر الدفء والحياة للكائنات والأرض التي هي موضع الإنبات والغذاء للإنسان والحيوان، والقمر الذي ينير الليل والنيل الذي هو مصدر وشريان الحياة لديهم ولم يقتصر الأمر على عبادة الأجرام السماوية لأنها لم تكن هي وحدها التي لها وقع التأثير في حياة المصري القديم بل ألهو كل ما يجلب لهم النفع أو يدفع الضر عنهم فعبدوا كثير من أنواع الحيوان وكذا النباتات بل الهواء أيضا بعض البشر وكل ذلك كان لأسباب معينة وظروف خاصة . وبعض هذه الحيوانات كانت ترسم في هذا الإطار السابق في مظهرها الحي ، أو مستقرة على قاعدة مزودة بصولجانات تيجان وريش ، أو ممثلة في أوضاع متنوعة وإن اختلفت من رمز لآخر[(1)].

1- عبادة الحيوان عند المصري القديم :

كانت الآلهة من الحيوان هي الأكثر ذيوعًا بين المصريين من آلهة النبات . وكانت هذه الآلهة من الكثرة بحيث غصت بها هياكلها كأنها معرض حيوانات صاخبة . وعبد المصريون في هذه المقاطعة أو تلك في هذا الوقت أو ذاك فعبدوا العجل والتمساح والصقر والبقرة والعنزة والكبش والقط والكلب وابن آوى والأفعى[(2)] .

ويرجع بعض المؤرخين أن السبب في عبادة المصريين للحيوانات هو اعتقادهم في حلول الآلهة في الأجسام ، فإنهم كانوا لا يتصورون عالمًا روحانيًا مجردًا من الجثمانية ، فالروح لا بد لها من جثمان تحل فيه ، حتى

---

(1) يارسولاف تشرني (الديانة المصرية القديمة ترجمة) : د. أحمد قدري ،مراجعة:د.محمود ماهر طه –ص13.

(2) نفس المرجع السابق ص 158.

أنها عند الموت لا تفارق الجسم إلا عند عودة سريعة إليه ، وإذا كان ذلك شأن الأرواح فهو أيضًا شأن الآلهة ، لا بد من مأوى تأوي إليه في الحياة ، وجسم تحل فيه . وقد أكملوا فكرهم في الأحياء التي عساها تكون موضع حلول الآلهة ، فزعموها في الأحياء التي تتصل بالخصب والإنتاج ، والبذر والإثمار ، وأحلوها في غيرها لميزة لاحظوها أو توهموها . فأحلوا آلهتهم أحيانًا في ثور ، وأحيانًا في قط ، وأحيانًا في غيرهما . وصاروا يعبدون هذه الحيوانات على أنها أوعية قد حملت فيها الآلهة وليست هي الآلهة . فقوام عبادة الحيوان على هذا الرأي ، هو اعتقاد الحلول عند قدماء المصريين [1] .

2-عبادة النباتات عند المصريين القدماء :

عبد المصري القديم أنواعًا من النبات ، فقد كانت مقاطعات مصر العليا تحمل ساريات أعلامها رمزًا في شكل أشجار من الأنواع دائمة الخضرة ، ومن الأشجار التي عبدوها شجرة الجميز وكانت على مقربة من مدينة منف ، فقد كان يعتقد أنها مستقر للإلهة أنثى طيبة تنفع الناس ببركتها ، وقد وجدت مثل هذه المعبودات المرتبطة بمثل هذه الأشجار مع الآلهة " حتحور " منذ الدولة القديمة التي منحت لقب " سيدة الجميز ". ولقد كان من المعتقد أن أرواح الموتى القادمة من المدافن المجاورة على شكل طيور تجد في ظل الجميزة الوارف حاجتها من الطعام والشراب ، تقدمها لها الآلهة الخيرة التي تقطن هذه الشجرة [2] .

وهذا النظام الديني" عبادة الحيوانات والنبات" ما يطلق عليه الطوطمية .

3-عبادة البشر في مصر القديمة :

---

(1)نفس المرجع السابق ص 15 بتصرف.

(2)أنظر :الديانة المصرية القديمة ص 24.

بدأت عبادة الأشكال والصفات الإنسانية في وقت مبكر منذ عصور ما قبل التاريخ ، ففي بداية عصر الأسرات نجد رسم معبود ذي وجه انسانى وإن حمل ذلك الوجه أذني بقرة ، وقد وجدت ثلاث تماثيل للإله " مين Min" عثر عليها في " كوبتوس Kotos "* تعود تقريبًا لنفس الفترة ، وهى منحوتة في شكل بشرى وقد سجلت حوليات ملوك الأسرة الأولى مناسبة نحت تمثال لذلك الإله . وكتب اسم " مين " بهيئة آدمية ممسكًا بيده اليمنى سوطًا مرفوعًا . وفى عهد الأسرة الثانية كانت الإلهة " وادجت Wadjout " تمثل على الأختام بوجه وجسم بشرى ، وكذلك الإله المدعو " آش Ash " رغم أن رأسه أحيانًا يشكل على هيئة بشرية ، وهناك أثر منقوش – في معبد في هليوبوليس – للملك " زوسر " مؤسس الأسرة الثالثة يحمل رسومًا للآلهة صورت جميعًا في هيئة بشرية [(1)] .

يتبين مما سبق رغم تعدد الآلهة لدى المصريين القدماء إلا أنهم أحاطوها بهالة من التقديس والتكريم وكانت تقدم لها القرابين ولا فرق في تقديس الآلهة بين الغنى والفقير فالدين للجميع ومما يدل على ذلك اهتمام الملوك بالدين في مصر القديمة اهتماما بالغًا " فقد كان الملك هو الرئيس الديني الأعلى يرأس المواكب والحفلات العظيمة التي تمجد أعياد الآلهة " [(2)] ونستطيع أن نلمس أيضا اهتمام الملوك بالدين اهتمامهم بالقائمين على خدمة الدين وهم الكهنة فقد منحوا امتيازات في الدولة لم تمنح لأحد فقد كانوا معفيين من الضرائب التي تجبى من سائر الناس ومن السخرة والخدمة العسكرية ، فقد كان لهم من المكانة والسلطان ما تحسدهم عليه سائر

*كوبتوس : إقليم مصري قديم؛ مدينة قنا الحالية.

(1)نفس المرجع السابق ص 29 بتصرف.

(2) ويل ديورانت : قصة الحضارة ج2 ص 156.

الطبقات ، فبفضل تقوى الشعب وتدينهم وكرم الملوك السياسي أصبحوا أعظم ثراء وأقوى سلطانًا من أمراء الإقطاع ومن الأسرة المالكة نفسها .

وكانوا يحصلون على طعامهم وشرابهم من القرابين التي تقدم للآلهة [1] .

وكان الكهنة يجتهدون في أن يجمعوا المصريين على آلهة واحدة ، ولذلك كانوا ينشرون عقيدة تعتبر هي العقيدة الرسمية للدولة ، وأن انحراف الشعب عنها انحرافا يختلف في قلته وكثرته باختلاف الأقاليم المصرية ، ولم تكن تلك العقيدة متحدة في كل أدوار مصر القديمة بل حالت واعتراها قانون التحول ،فتغيرت من دور إلى دور [2] .

ومن هذا يفهم أن المصريين لم يعرفوا حتى التوحيد الإقليمي بأن يجتمعوا على آلهة واحدة في كل إقليم ويتفقوا عليهم مهما تتباين جهات إقامتهم ، بل كانت آلهتهم محلية ، كل إقليم له آلهة خاصة به [3] .

وقد يرجع ذلك إلى أن مصر مرت بأحقاب زمنية مختلفة فقد تكون تلك الأحقاب خالية من دعوات إلى التوحيد ولكن هذا لا يعنى خلو مصر تمامًا من الدعوات التوحيدية الخالصة وارتبط ذلك بحقب أو أوقات زمنية معينة خاصة وقد ذكر علماء الأديان أن ادريس عليه السلام وهو واحد من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم قال تعالى: **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾** **مريم :56** ، بعث منذ أكثر من سبعة آلاف سنة وهو أول داع للتوحيد ، ولد في موضع مدينة ادفو الحالية في صعيد مصر ، ووضع للمصريين أركان الدين والعبادة ، وكانت له مواعظ ووصايا ويذكر ابن الجوزي أنه تنبأ في حياة جده آدم ، وأنزلت عليه ثلاثون

---

(1) المرجع السابق ص 161 ، 162بتصرف.

(2)أنظر أبو زهرة : الديانة القديمة ص 10.

(3) نفس المرجع السابق ص 10.

صحيفة؛ فدعا قومه ،ووعظهم وأمرهم بطاعة الله وعبادته، وعصيان الشيطان[1].وقد كان ادريس عليه السلام على علم كبير بلغات أهل الأرض جميعا؛ فقد كان يحدث كل قوم بلغتهم ولهجاتهم، وعمَّت ملَّته أرجاء الأرض، وكان أول من عرف العلوم الكونية، والجيولوجيا ،والرياضيات [2] وقد ذكر المؤرخون أن سيدنا ادريس عليه السلام قد عرف بعدة أسماء منها :هرمز، أو هرمس وذكرت كتب التفاسير أن هذا الاسم لقب له ، وإنما سمي "إدريس" لأنه أول من درس الوحي المكتوب وأول من خط بالقلم وأول من قطَّع الثياب وخاطها ، وأول من أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام[3] .وتسميه الفرس " اللهجد" ومعناه ذو عدل وهو الذي تذكر الحرانية – الصابئة- نبوته[4] .ونقل المسعودي في أكثر من موضع من كتابه " التنبيه والإشراف" أن سكان مصر القدماء كانوا يعتقدون نبوة هرمس[5].

ومن متون هرمس :

إدراك آتوم شاق، وتحديده مستحيل فلا يستطيع الناقص والفاني إدراك الكامل والخالد بيسر وسهولة. آتوم هو الواحد الصمد غير متحرك ومع ذلك هو أصل الحركة ذاتها لا يشوبه نقص .

---

(1) المنتظم ج1، ص 234.

(2) انظر :د.محمد عبد المجيد لاشين (من أنباء الرسالات السماوية) ص233 ،دار الأفاق العربية ، الطبعة الأولى هـ2009/1430م.

(3) المنتظم ج1 ص233،و تاريخ الطبري ج1 ص106، وتاريخ اليعقوبي ج1 ص11 ،والكامل في التاريخ لابن الأثير ج1 ص47 ،والبداية والنهاية لابن كثير ج1 ص99.

(4) انظر مسالك الأبصار ج9 ص15 ،وابن أصيبعة : عيون الأنباء.

(5) التنبيه والإشراف ص18 ،59 ،138.

هو الباقي دوما هو الخالد أبدا .. هو جماع الأفكار التي لا تدركها الحواس ولا تدركه المعرفة مهما عظمت[1] . .وقد ذكر بعض علماء الآثار أنَّ نبي الله إدريس عليه السلام كان يسمى حورس ، وقد أصبح إله السماء والنور والخير وأنه وجد على حزامه عدة عبارات منها :حفظ فروض الشريعة من تمام الدين وتمام الدين من كمال المروءة ، السعيد من رأى نفسه في مرآة صلاته وعبادته[2]. ومن أسمائه أيضا " تحوت" ومعناه إله الحكمة والسحر والقمر [3] وروى الإمام البخاري رضي الله عنه عن ابن مسعود ، وابن عباس رضي الله عنهما أن إلياس هو إدريس[4] وكما قيل أن إلياس وإدريس عليهما السلام ، قيل أيضا : إنَّه هو الخضر[5]وقد جاء في بعض الآثار أن إبراهيم عليه السلام قد زار مصر ، فلا بد أن يكون التوحيد قد كان موضع دعاية له ، وإن لم يكن موضع إجابة منهم .

بالإضافة إلى ذلك يوسف عليه السلام الذي نشأ وتربى في مصر و بعثه الله بدعوة التوحيد و هذا ما حكاه الله تعالى عن الحوار الذي دار بين يوسف عليه السلام و صاحبي السجن فقد قال حاكيًا عن ذلك : ﴿**قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّـهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّـهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا**

(1) تيموثي فريك ،وبيتر غاندي ترجمة : عمر الفاروق عمر "متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة" ص240 ط1 المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،2002م.

(2) عزت السعدني: الوصايا المصرية العشر ، مقال في صحيفة الأهرام المصرية ، عدد 43146 ،22يناير 20005م.

(3) انظر: معجم أعلام الأساطير والخرافات ص338.

(4) انظر:صحيح البخاري ، الحديث رقم 3342، كتاب الأنبياء 60، باب ذكر إدريس عليه السلام .

(5) دائرة المعارف الإسلامية ج2 ص566،وانظر:ابن كثير قصص الأنبياء ،ص389.

يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّـهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّـهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّـهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٤٠﴾يوسف :37-40.

من خلال النص السابق يتبين أن دعوة يوسف إلى التوحيد قد وردت للمصريين ، فهذا يوسف وهو في السجن يدعو صاحبيه إلى الدين القيم ، وهجر عبادة غيره من الآلهة التي ما هي إلا مجرد أسماء سموها هم و آباءهم دون أي سند في كونها آلهة على سبيل الحقيقة ولم يمنع السجن يوسف من الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية وقد خرج يوسف من السجن بعد ذلك ومكن الله له في الأرض وأصبح أقوى مما كان عليه في السجن فمما لاشك فيه أنه قد دعا أهل مصر إلى عبادة إله واحد وهو في موقف القوة فالدعوى إلى الله في حالة القوة أولى من حالة الضعف التي كان عليها يوسف في السجن.

وقد بعث الله موسى بعد يوسف عليهما السلام بفترة من الزمن ودعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ودعا فرعون بأمر من الله تعالى وكانت دعوته أيضا لها صدى لدى المصريين بدليل قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّـهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾** غافر:28 وقوله تعالى : ﴿ **وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾** الأعراف 120-122.

ولا ننسى أن دعوة إخناتون إلى عبادة إله واحد ونبذ عبادة الآلهة المتعددة ما هي إلا دعوى فطرية لعبادة إله واحد وقد يكون ذلك صدى لتعاليم ودعوات الأنبياء الذين كانوا في مصر مثل يوسف وموسى عليهما السلام أو غيرهما عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ**

اللَّـهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّـهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ غافر:78 . فقد يكون مر على مصر دعوات رسل غير ما وصلنا فالصفات إلى وصف بها اخناتون إلهه تتسم بالعظمة والكمال والقدرة وإن كان قد شانها بجعل الإله الواحد هو الشمس فإلهه كان إله حسي ورغم ذلك دعته فطرته التي فطره الله عليها وهى التوحيد إلى توحيده ووصفه كل صفات الكمال .

يقول اخناتون في قصيدته للإله الواحد :

إن العالم في يدك

بالصورة التي خلقته عليها ،

فإذا أشرقت دبت فيه الحياة

والناس يستمدون الحياة منك ،

ما دامت عيونهم تتطلع إلى سناك

حتى تغيب .

فتقف كل الأعمال

حين تتوارى في المغرب ... [(1)] .

وقد فند الدكتور/أحمد بدوي أقوال المؤرخين ، وأثبت أنه لا علاقة للإله "أتوم" المصري بغيره من الآلهة الأسيوية أو الإغريقية ؛ فالتاريخ الصحيح لا يكاد يعرف بينه وبين "أدوناي" عند العبرانيين ،ولا بينه وبين "آدون" – ادونيس– عند الإغريق صلة ولا سببا ؛ لأن عبادة الشمس في مصر عبادة عريقة [(2)].

---

(1) ويل ديورانت : قصة الحضارة ج2 ص 174.

* أوروك : مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين على الفرات بالقرب من مدينة أور ، وكانت عاصمة بابل السفلى .

(2) انظر:د.أحمد بدوي :في موكب الشمس ج2 ،ص 583 ،وانظر :د.محمد عبد المجيد لاشين :مرجع سابق ص243.

* أوروك : مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين على الفرات بالقرب من مدينة أور ، وكانت عاصمة بابل السفلى .

الآلهة في بلاد ما بين النهرين

احتل الدين مكانة كبيرة في بلاد ما بين النهرين منذ عصور ما قبل التاريخ فهي منطقة ذات أصناف مختلفة من البشر وثقافات مختلطة وكان سكان هذه المنطقة على وعى تام بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجودهم ، وتشهد على ذلك بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين والتماثيل الرمزية الصغيرة ، وتماثيل الآلهة وعادات الدفن[1] . فكانت هذه البلاد تؤمن بشكل مطلق بنظرية تعدد الآلهة[2] ومع ظهور الكتابة التي وجدت في مدينة " أورك* Urok " حوالي سنة 3000 ق.م ، ظهر مصدر جديد من الشواهد على تطورهم الفكري حتى وصول الغزاة من الفرس والإغريق إلى هذه المناطق ولقد طور السومريون خلال الألف الثالثة قبل الميلاد ، وجهات نظر كان لها تأثير هائل لا على معاصريهم من السومريين الأول فحسب ، بل على خلفائهم أيضا من البابليين والأشوريين ، الحيثيين ، والعيلاميين ، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية ، وكان تصورهم الرئيس ، في جوهره أن الكون يتسم بالنظام وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلى العقل[3] .

آلهة السومريون :

وضع السومريون مئات الأسماء المقدسة ، وصنفوا كلا منهم على أنه إله وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم ، وكان لكل إله أو آلهة خاصية مميزة ، ومناطق مسئولية محددة ، رغم أن كثير منها آلهة ثانوية ، لكنهم يجمعونها في أسرة تلتف حول إله قوى بوصفها زوجات أو أبناء أو موظفين أو أحد ما .

---

(1) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 11 – 12 بتصرف.

(2) تاريخ المعتقدات والأديان ، ديانة بلاد ما بين النهرين –المركز الجامعي بالوادي ص6 بتصرف.

(3) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 11 بتصرف.

وقد مثّل الدين شيء عظيم عند السومريين وارتبط ارتباطًا وطيدًا بالحكم حيث إنه كان مصدر الحكم الذي يستمد منه الملك أو الحاكم أحكامه فقد كان الإله العظيم الذي تلتف حوله بقية الآلهة هو الإله الذي يجمع الكل على تقديسه وعبادته من الحاكم والرعية وعرف الإله الأعظم لدى السومريين بـ " آن . و . anu " فكان مهتما بشئون الحكم ويرمز له بغطاء الرأس ذي قرون علامة على إلوهيته ، وكان معبده الرئيسي في " أورك uruk الوكاء " (1) .

آلهة الأشوريين :

وكما هو الحال في بلاد ماء وراء النهرين وهو ارتباط وضع الآلهة موضع الدولة أو الإقليم الخاص بها وارتباط الملوك بها لاحتياجاتهم لها في كل شيء لتوطيد دولتهم ووضع قواعد للحكم فيها ولذلك كانت الآلهة في موضع توقير وتبجيل دائم في بلاد ما وراء النهرين ومنها " آشور " .. ولقد احتاجت أشور باستمرار ، لتأكيد وضعها السياسي والاقتصادي أن تقوم بحملات عسكرية لتبقى على طرق تجارتها مفتوحة عبر التلال والصحارى المحيطة ، ولهذا اتسمت آلهتهم بسمات عسكرية ، وذلك مثل " نينورتا – Ninurta إله الحرب والصيد ، وربما كان هو نفسه نمرود Nimrod الذي يذكره الكتاب المقدس (2) .

صفات الآلهة لدى الأشوريين :

وصف الأشوريون آلهتهم بكل صفات القوة والقدرة بالإضافة إلى العطاء المستمر ... وكان لكل إله من الآلهة الكبرى صفات خاصة يبتهل له عُبادة بها أثناء الصلاة ، وهى في مجملها تشع بهاء وروعة وتخلق جو من

(1) نفس المرجع السابق ص 13 بتصرف.

(2) نفس المرجع السابق ص 19.

البهجة تجعل الأنصار قبل الأعداء يرضخون وقد كان لكل منها أيضا تمثاله ورمزه الذي انفق على زينته بسخاء ليحل محل الإله نفسه . ويعرف الإله في الأعمال الفنية ، بغطاء للرأس ذي قرون حتى لا يبدو منظره عاديًا كأي رجل أو امرأة ولا بد لكل إله أن يتحمل رمزًا يعين هويته مثل إله الشمس " شاماش " أو شيميش الذي يحمل في يده منشار البث والقطع ، أو تراه واقفًا فوق حيوان رمزي أو بجواره [1] .

هذا كان عن الآلهة في سومر وأشور ورأينا كيف احتلت الآلهة مكانة عظيمة في نفوسهم وكانت قداسة ملوكهم تشهد من قداسة آلهتهم ولذلك يرجع للاحترام البالغ من الملوك للإلهة الذين اعتبروا أنفسهم منفذون لحكم وشرع الآلهة ونفس هذا الشيء حدث في بابل وهى من بلاد ما وراء النهرين فمن تتمة الحديث عن آلهة بلاد ما وراء النهرين الحديث عن آلهة بابل.

(1) نفس المرجع السابق ص 19 – 20.

الألوهية في بابل :

احتل الدين مكانة بالغة في بابل وكانت السلطة الملكية خاضعة للسلطنة الدينية فقد كان الملك وكيلاً للإله وكانت الضرائب تفرض باسم الإله ، ولم يعد الملك ملكًا بحق في أعين الشعب إلا إذا خلع عليه الكهنة سلطته الملكية ؛ و " أخذ بيد بابل " ، واخترق شوارع المدينة في موكب مهيب ممسكًا صورة مردك. وكان الملك في هذه الاحتفالات يلبس زي الكاهن ، وكان هذا رمزًا إلى اتحاد الدين والدولة [1] .

وهذا بمثابة رد للدعوات الحديثة والمعاصرة التي تنادى بفصل الدين عن الدولة فمنذ القدم كما رأينا الدين والدولة شيء واحد وأن الدعوات المعاصرة بفصل الدين عن الدولة كانت لظروف اقتضاها الحال في فترة زمنية معينة ببيئة معينة وكانت نتيجة لأخطاء ارتكبها رجال الدين في ذلك الوقت " رجال الكنيسة " فتعميم هذه الدعوى لا يصح لأنه لا يتلاءم مع الأديان التي اهتمت بالدولة واهتمت بالعلم كذلك رأينا أنه لم يكن ذلك ملائمًا للأديان القديمة كما رأينا فكان للدين مكانته وقدسيته في الدولة كما رأينا ذلك في الديانة المصرية القديمة ونرى الآن في حديثنا عن الألوهية في بابل وكما سنرى في حديثنا اللاحق عن ديانات أخرى .. نعود ونؤكد التحام الدين بالدولة في بابل حيث كان الملك يستمد شرعه وقوانينه من الإله ولذلك كان يحيط بعرشه جميع مظاهر خوارق الطبيعة [2] ، وبالتالي فكان الخروج على الملك يعد كفرًا ليس كمثله كفر يستحق من أجله الموت وذلك لأن الخروج عليه يعد خروجا على شرع الإله [3] ؛ ولذلك فقد كان الملوك في بابل على

---

(1) ويل ديورانت : قصة الحضارة ج2 ص 211 بتصرف.

* أوروك : مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين على الفرات بالقرب من مدينة أور ، وكانت عاصمة بابل السفلى .

(2) نفس المرجع السابق ص 211 بتصرف.

(3) نفس المرجع السابق ص 212 بتصرف.

درجة عالية من التدين وكانوا يشعرون بشدة حاجتهم إلى غفران الإلهة ، فشيدوا لها الهياكل . وأمدوها بالأثاث والطعام والعبيد ووقفوا عليها مساحات واسعة من الأرض ، وخصوها بقسط من إيراد الدولة يؤدونه إليها في كل عام . فإذا غنم الجيش واقعة حربية كان أول سهم من الغنائم ومن الأسرى من نصيب الهياكل ، وإذا أصاب الملك مغنمًا قدمت الهدايا العظيمة للآلهة . وكان يفرض على بعض الأراضي أن تؤدى للهياكل ضريبة سنوية من التمر والحب
والفاكهة [1] .

وكان الفقراء والأغنياء أمام الدين سواء فقد كانوا يخصصون للهياكل من مكاسبهم الدنيوية فى خزائن الهياكل الذهب ، والفضة ، والنحاس والجواهر والأخشاب النفيسة[2] .

آلهة بابل :

عبد البابليون آلهة كثيرة وقد بلغ إحصاؤها في القرن التاسع قبل الميلاد حوالي 65.005 فقد كان لكل مدينة رب يحميها ، وقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها ، وإن كانت تخضع رسميًا للإله الأعظم " الذي يمثل الدين الرسمي للدولة " [3] .

عبادة مظاهر الطبيعة :

عبد البابليون مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وأرض ورمزوا لكل إله منها باسم معين له فأطلقوا على السماء " أنو " وعلى الشمس " شمس " وعلى القمر " تنار " وعلى الأرض " بل أو بعل " . ولم يقف حد التعدد

(1) نفس المرجع السابق ص 212 بتصرف.
(2) نفس المرجع السابق ص 212 بتصرف.
(3) نفس المرجع السابق ص 214 بتصرف.

على مظاهر الطبيعة فقط بل كان لكل أسرة ألهتها المنزلية التي تقام لها الصلوات بل أكثر من ذلك كان لكل فرد رب يحميه [1] .

وبالرغم من هذا التعدد إلا أنه لم يمنعهم ولم يعفهم كما ذكرنا عن عبادة إلههم الأكبر الإله الرسمي للدولة ولعل هذا خطا بهم خطًا واسعة إلى التوحيد.

التوحيد في بابل :

لا نستطيع الجزم بأنه لم توجد دعوات إلى التوحيد في بابل خاصة وأن إبراهيم عليه السلام ولد في بابل وفيها كان نبذه للإلهة المتعددة ودعوته إلى إله واحد وإتباعه المنهج العقلي وقد حدثنا القرآن الكريم عن ذلك قائلا : **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ مريم 74–79.**

وأكد ذلك بلوغ صدى دعوته إلى جزيرة العرب وقد ظل قومه على دعوته ودينه حتى مجيء الإسلام وأطلق على هؤلاء الحنفاء وقد كان ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة رضي الله عنها منهم وهو الذي ذهبت إليه السيدة خديجة عندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهبط عليه الوحي وأرادت أن تطمئن عليه وتنبأ بأنه نبي من عند الله تعالى .

(1) نفس المرجع السابق ص 214 بتصرف.

ولذلك نرى البابليين كانوا يميلون على الرغم من التعدد في عبادتهم للإلهة إلى عبادة إله واحد هو الإله الرسمي للدولة كما رأينا وهو الذي يستمد منه تشريع القوانين التي تقام عليها الدولة ولكن تمثيلهم لذلك الإله في صورة أخرى غير الله قد يرجع ذلك إلى طول الفترة الزمنية التي مرت على دعوة إبراهيم عليه السلام فانحرف الناس عن عقيدتهم الصحيحة وقد يكون هناك دعوات أخرى اعتمادًا على قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ** ﴿٧٨﴾﴾ غافر:78 ولذلك على الرغم من انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة إلا أنه قد يكون هناك بصيص نور إيماني يدعوهم إلى تعظيم إله أكبر للدولة ويجعل عبادتهم للآلهة المتعددة تتراجع وتتركز عبوديتهم وتدينهم على إله واحد وهذا ما حدث بالفعل ، فقد قل عدد الآلهة شيئًا فشيئًا بعد أن فسرت الآلهة الصغرى بأنها صورة أو صفات للإلهة الكبرى . وعلى هذا أصبح مردك إله بابل – وكان في بادئ الأمر من آلهة الشمس – كبير الآلهة البابلية . ومن ثم لقب بـ مردك أي مردك الإله ، وإليه وإلى اشتار كان البابليون يوجهون أحر صلواتهم وأبلغ دعواتهم [(1)] .

الألوهية في الهند :

تتسم الهند بالمساحة الكبيرة حتى أنهم أطلقوا عليها شبه القارة الهندية وذلك لاتساع أراضيها وتعدد مناخها طبقًا للمناطق الموجودة بها فالمناخ في الشمال يختلف اختلافًا جذريًا عن المناخ في الجنوب وذلك راجع لمساحتها الشاسعة وأدى ذلك إلى تعدد الديانات فيها ومن ثم تعدد الآلهة فعبد الهنود آلهة كثيرة ، ومن أقدم هذه الآلهة عبادة النيران فقد كانت المعبود المقدس الذي تقدم له القرابين ، ويتولى الكهنة وهم سدنة معابد النيران ،

---

(1) ويل ديورانت : قصة الحضارة ج2 ص 214 بتصرف.

القيام بما يقتضيه التقديم من طقوس ورسوم في تلك الديانة ، ولم تكن النار الإله المنفرد بالألوهية بل كان يشاركها في التقديس آلهة أخرى منها الشمس لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة ، وحرارة منبعثة للأجسام . ومنها حيوانات مخيفة كتنين مفزع أو وحش هائل ، وكانوا يعتقدون أن هناك عالمًا آخر وهو عالم الأموات وأن الأخيار إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب ، وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصريفه وتدبيره بمجرد مغادرتها الأجسام [1] ، كذلك من الآلهة التي عبدها الهنود " كالي " وهى تفوق قوة الأرباب أنفسهم ويعتمدون عليها في مواصلة البقاء ، وفى حماية قوى الخير وقد تدعى (شاكتى) التي تعنى الطاقة أو القوة .وكالي إلهة مطاعة ، صورتها تبعث الرعب في القلوب بأنيابها الطويلة المدببة ، وشعرها المنفوش ، وعقدها المنظوم من الجماجم البشرية ، ومن الآلهة الشعبية التي يعبدها الهندوك ، ولعله أشهرها " الجانيش أو جانياتى " ، وهو إله الحكمة ، ومزيل العقبات ، وابن الإلهة شيفا ، له رأس فيل على جسم إنسان ، وتبرز من جنبه عدة أذرع . كذلك تعد البقرة من أكثر الحيوانات قدسية في الهند فلا يجوز ذبحها ويجب أ ن تترك وشأنها لها الحرية التامة دون أن يعترضها أحد ولا يجرؤ على إيذائها لأن من يفعل ذلك يكون جزاؤه الموت [2] .

كذلك أخذ الثعبان مكانة مقدسة عند الهنود وقد ظلت هذه الديانات على مكانتها وسيادتها عند الهنود حتى جاءت ديانة الفاتحين [3] .

الديانة البرهمية :

ولكن لم تمح الديانة الجديدة الديانة القديمة محوًا ، ولم تمح كل آثارها ، بل إن الناس قد مزجوا بين قديمهم وما عرض لهم ، كذلك لم يسلك

(1)أنظر أبو زهرة : الديانة القديمة ص 13.

(2)أنظر :د.كامل سعفان(معتقدات أسيوية) ص 171 – 172 بتصرف .

(3)أنظر أبو زهرة : الديانة القديمة ص 23.

الفاتحون أسلوب القهر والغلب في حمل الناس على الدين الجديد ، بل أضافوا إلى ذلك الإقناع والتأثير بالحجة ، واجتمع لدى الهنود من تفاعل القديم والجديد في نفوسهم مزيج أقرب إلى الجديد في صورته ، ولا ينافى القديم في معناه [1] .

واعتمدت العبادة في هذه الديانة على عبادة القوى المؤثرة في الكون وتقلباته في زعمهم ، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى ، بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام ، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها ، وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلها .

الهندوسية :

الهندوسية هي دين الغالبية وليس لها مؤسس يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها . ولكنها دين التطور ، وبين ثناياها وثنية ساذجة ، وآراء فلسفية سامية ، وزهد صادق [2] والهندوسية هي اتباع أو عبادة الإله " فشنو Vishnu " أ " شيفا Shiva " أو الآلهة " شاكايتى Shakti " أو تجسيداتهم أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم . وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من اتباع عبادة " راما وكرشنا Rama , Krishna " وهما " تجسيدات لفشنو" وأتباع عبادة " درجا Dorga " و" سكاندا Skanda " و " جانيشا Ganesha" وهم على الترتيب زوجة شيفا وابناه لكن ينبغى أن نستبعد براهما Brahma وسيريا Surea أي الشمس ، اللذين كان لهما من قبل عبادة خاصة ومعابد خاصة [3].

البوذية :

من سنة 500 إلى سنة 200 ق .م قامت البوذية فى بلاد الهند وترعرعت . ولم يُعنّ بوذا بالله ، إنما عُنى قبل كل شيء بطريق الحياة السوىّ وقد أثرت

---

(1)المرجع السابق ص 23.

(2)أديان العالم – ص 70.

(3) المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ص 135.

البوذية على الهندوسية من قبل تأثيرًا إيجابيًا تمثل ذلك في ظهور الأخلاق الحميدة وانتشارها بين الهنود كدعة النفس ، وبساطة الحياة والتواضع ترجع في أكثرها إلى تأثير بوذا عليهم .. وكما أن للبوذية تأثيرًا ايجابيا على الهنود كان لها تأثير سلبي تمثل في ظهور فكرة المظاهر المتجسدة للآلهة . وقامت هذه الفكرة على أن فيشنو Vishnu الإله الحافظ وشيفا Shiva الإله المدمر – كونا بالاشتراك مع " براهما " ثالوثًا بدت مظاهره المتجسدة في أوضاع شتى ، وكان من نتيجة ذلك أن عبد شيفا إله الدمار تحت أسمه وأسماء أخرى بالاشتراك مع زوجته Kali . وأكثر عبادة هذا الإله قائمة على التبطر والفسق [1].

هذا كان بعضًا من الآلهة التي عبدها الهنود وتأثر بعضها على بعض واندماج بعضها في بعض على مر التاريخ وظل الحال هكذا إلى أن عرا عقائدهم التغير والتبديل ، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة آلهة ، وهى : (1) براهما وهو الإله الخالق مانح الحياة ، والقوى الذي صدرت عنه جميع الأشياء ، والذي يرجوا لطفه وكرمه جميع الأحياء ، وينسبون إليه الشمس التي بها يكون الدفء وانتعاش الأجسام ، وتجرى الحياة في الحيوان والنبات في زعمهم . (2) سيفا أو سيوا ، وهو الإله المخرب المفنى الذي تصفر به الأوراق الخضراء ويأتي الهرم بعد الشباب ، وتفنى مياه الأنهار في لجج البحار ، وينسبون إليه العار .

(3) ويشنو أو يشن ويعتقدون أنه حل في المخلوقات ليعي العالم من الفناء التام [2] . وهذه الثلاثة أقانيم لإله واحد في زعمهم ، والإله الواحد هو الروح الأعظم وهو بلغتهم (أنما) .

ودون هذه الآلهة الثلاثة آلهة أخرى اقل سلطانًا وقوة وعبادة ، ولكن براهمتهم وهم علماء الدين يرجعون كل شيء إلى الآلهة الثلاثة ، ويرجعون كل شيء

---

(1)أديان العالم – ص 76 بتصرف.

(2)أنظر أبو زهرة : الديانة القديمة ص 27 – 28 بتصرف.

إلى إله واحد [1] . ولذلك فإن كثرة الآلهة وتعددها لا يعد في نهاية الأمر إلا أن تكون (وسائط) أو رموز تمثل قدرات الواحد الأحد ، وتتنوع آلائه [2] .

وهذا الكلام يجرنا للحديث عن التوحيد في الديانة الهندية وهل المقصود به التوحيد الخالص الذي هو معناه عبادة إله واحد متصف بكل صفات الكمال ومنزه عن كل نقص كما هو معروف في الإسلام أم أريد به غير ذلك .

التوحيد في الديانة الهندية :

تحدث البيروني عن التوحيد في الديانة الهندية وأنه كان منوط على فئة خاصة من المجتمع الهندي حيث أنه قسم الناس بسبب أن طباع الخاصة ينازع المعقول ، ويقصد التحقيق في الأصول ، ولذلك كان اعتقادهم في الله سبحانه أنه هو الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحي المدبر المبقى الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء ، وأراد البيروني أن يستدل على كلامه عن الله وصفاته عند الهنود لا يكون كلام مجرد كلام مرسل من غير دليل يؤيده فاستدل من كتب الهنود أنفسهم من كتاب " باتنجل " على هيئة حوار بين سائل ومجيب حيث يقول السائل : من هذا المعبود الذي يُنال التوفيق بعبادته ؟ يقول المجيب : هو المستغنى بأوليته ووحدانيته عن فعل لمكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى أو شدة تخاف وتتقى ، والبريء من الأفكار لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة ، والعالم بذاته سرمدًا إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم وليس الجهل بمتّجه عليه في وقت ما أوحا ؛ واستطرد في وصف الله بكل صفات الكمال بناء على سؤال السائل فيصفه بالعلم التام الأزلي والكلام الأزلي وأن الأزلية هي التي جعلت صفات الله

(1) المرجع السابق ص 28 بتصرف.

(2)أنظر معتقدات أسيوية : ص 171 - 172 بتصرف .

تختلف عن صفات المخلوقين [1] ... ثم يتحدث البيروني عن الطبقة الثانية أو الطائفة الثانية وهم العوام فيذكر أن لكل أمة عوام ومنهم الأمة الإسلامية حيث يوجد منهم المشبهة والجبرية الذين وصفوا الله تعالى بصفات الأجسام فيقول : " ثم إن تجاوزنا طبقة الخواص من الهند إلى عوامهم اختلفت الأقاويل عندهم وربما سَمُجت كما يوجد مثله في سائر الملل بل في الإسلام من التشبيه والإجبار وتحريم النظر في شيء " [2] . ومثل ذلك يوجد في الأمة الهندية ووصف المشبهة في الهند بالعوام حيث أنهم لم يدركوا حقائق الأشياء واعتمدوا على الظاهر وذلك حيث إنه لما وصف الله بأنه أحاط بكل شيء وصفوا هذه الإحاطة بالبصر عن طريق العين وأن ذلك بألف عين يقول البيروني : " ومثل ما حاكيناه من إحاطته بالكل حتى لا يخفى عليه خافية فيظن عوامهم أن الإحاطة تكون بالبصر والبصر بالعين والعينان أفضل من العور فيصفه بألف عين عبارة عن كمال العلم ؛ وأمثال هذه الخرافات الشنيعة عندهم موجودة وخاصة في الطبقات التي لم يتح لهم تعاطي العلم على ما يجيء ذكرهم في موضعه " [3] .

ولكن هل بالضرورة أن يكون المشبهة والمجسمة وغيرهم من الفرق التي انحرفت عن الجادة وعن الحق عوام ؟ فلا بد أن تكون الإجابة بـ لا وذلك لأن أغلب الذين ينحرفون يكونون على علم تام وبينة تامة لأنه قد يكون الانحراف لنشر مذهب معين بين الناس وإثارة الشك في نفوسهم وهذا هو ما فعله المشبهة والمجسمة في الإسلام الذين استدل هو بهم فهؤلاء لم يكونوا من عوام الناس بل كان منهم أصحاب رأى وفلسفة وبهذا فليس هذا يعد دليلا على وصفه لمشبهة الهنود بأنهم عوام ويقول أبو زهرة في تعليقه على ذلك : " إن الانحراف عن المبادئ الدينية إذا وقع شمل الخواص والعوام . بل في

(1) البيروني : تحقيق ما للهند من مقوله ص 21.

(2) المرجع السابق ص 23.

(3) المرجع السابق ص 23- 24.

بعض الأحيان يبدأ الانحراف من يكون في مرتبة الخواص . وإن الفرق التي ضربها في الإسلام مثلاً – وهم المشبهة ؛ والجبرية – حجة عليه ؛ وليسوا حجة له ؛ فإن أولئك لا نستطيع أن نقول أنهم من العوام ، بل في مرتبة الخواص ، لأن منهم من كان ذا فلسفة وذا علم [(1)] .

وأيًا كان من ذكره البيروني عن الخواص والعوام في عبادته لله الواحد فإن الذي يهمنا في هذا الموضوع أنهم بعد تعددهم الواضح في عبادة الآلهة إلا أنهم في النهاية أدمجوها في إله واحد فإنه نوع من التوحيد ولكنه ليس خالصًا لأنه دخله التثليث والوسائط وهذا ليس هو توحيد المسلمين وعلى أي حال فإن هذا يدل على أنه كانت في الهند دعوات إلى التوحيد في زمن ما أو أزمان ما فقد يكون الله قد أرسل لهم رسلاً ولم يتحدث عنها القرآن الكريم ولا السنة النبوية وذلك عملاً بقوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ** ﴿٧٨﴾﴾ غافر:78 وذلك مثل ما حدث في مصر القديمة وكذلك في الجزيرة العربية فقد كان العرب يعبدون الأوثان والأصنام تقربًا إلى الله تعالى وقد قال الله عنهم في كتابه الكريم : ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴿٣﴾﴾ الزمر:3 فهذا الاعتقاد قد يكون دليلا على دعوات سابقة لأنبياء ورسل لم يتحدث القرآن عنهم ويدل ذلك ما ذكره البيروني عن إبراهيم بأن الله كلمه يقول البيروني أخذ من كتاب " باتنجل " ردًا على السائل في سؤاله عن صفة الكلام لله فهل هو متكلم فقد قال المجيب في الإجابة عن ذلك : " وهو إلى كلم " براهم " وغيره من الأوائل على أنحاء شتى ، فمنهم من ألقى إليه كتابًا ، ومنهم من فتح لواسطة إليه بابًا ، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما

(1)أبو زهرة : الديانة القديمة ص26 – 27.

أفاض عليه " [1] وقد يكون طول الفترة الزمنية بين دعوات الأنبياء والرسل أدى إلى الافتراق والبعد عن التوحيد الخالص ودخول التحريف في الدعوات والذي يهمنا أنه على الرغم من التحريف الذي قد يكون نتيجة للبعد وطول الزمن إلا أنهم لم ينسوا التدين كلية وآمنوا بإله خالق لهم له كل العظمة والخضوع .

الآلهة عند اليونان

تعددت الآلهة لدى قدماء اليونان فقد ألهو مظاهر الطبيعة من شمس وأرض وسماء وبحر كما فعل غيرهم من المصريين القدماء وبلاد ما وراء النهرين والهنود ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ألهو الصفات الأدبية فقد اشتهرت اليونان بالأدب من شعر ونثر ولذلك فقد جعلوا لكل فن من فنونهم إله . " ومن هذه الآلهة " هيرا " ربة القوة المنتجة في الطبيعة و " آريس " أو المريخ إله الحرب و " أبولون " إله الموسيقى والنور ، و" هيراميس " رسول الآلهة ورب الفصاحة والبيان ، و" أثينا " ربة الحكمة و " أفروديت " ربة الحب الجميل و " ديونيسوس " رب الخمر والتمثيل [2] .

وارتبطت الآلهة بالمدن في اليونان فقد كانت هيرا تمثل مدينة أرجوس Argos ، كما يمثل أبوللو مدينة اسبرطة وملطية وقورينة . والآلهة آرتميس تمثل " أفيسوس " والإله هركل تمثل جزيرة تاسوس والأكثر من ذلك أنه سرعان ما دخلت السياسة ففي عام 405 ق .م صدر قرار يعطى حق المواطنة الأثينية إلى أبناء ساموس Samos وهو قرار يوضحه منظر هيرا آلهة ساموس وأثينا آلهة الأثينيين وهما يتصافحان [3] ، أحاط قدماء اليونان آلهتهم بهالة كبيرة من المهابة والتقديس ، فقد كان لها سلطة عظمى على

(1) البيروني : تحقيق ما للهند من مقوله ص 21.

(2) أبو زهرة : الديانة القديمة ص112.

(3) المعتقدات الدينية لدى الشعوب : ص68 يتصرف.

حياة الإنسان ، للخير والشر على السواء . فبإرادتها كانت تسقط المدن ، ويموت الناس ، وتهزم الجيوش ، وقد أدرك الناس أنه يقتضى القيام بطقوس الذبائح التقليدية في كل مناسبة ، وإلا صبت الآلهة جام غضبها على الأهلين [1] .

الوحدانية في اليونان القديمة :

على الرغم من تعدد الآلهة في بلاد اليونان القديمة إلا أنه دائما يصير الإنسان وراء فطرته التي فطره الله عليها ويحاول أن يجعل القداسة لإله واحد عظيم يمتلك كل زمام الأمور وينتهز أول فرصة تسنح له ليوحد الآلهة المتعددة وهذا ما حدث في بلاد اليونان القديمة .. فعندما جاء الهيلينون الغزاة إلى الجنوب في الألف الثانية ق .م .

وجلبوا معهم إله السماء الهندي العظيم ديوس Dyaus أو زيوس Zeus ، وكان من الطبيعي للبدو المهاجرين أن يظلوا على تمجيدهم لقبة السماء ، فالأرض يمكن أن تتغير أما السماء فلا تتغير . ومع " زيوس " جاءت رفيقته الملازمة له ملازمة الظل ديونى Dione ، والعذراء بلاس Pallas ، التي تقوم بالإشراف على المعارك ، والتقى هؤلاء الغزاة في اليونان بآلهة الأرض الأم ، ومع أول موجة من موجات المهاجرين من الهيلنيين احتفظت هذه الآلهة بمكانتها المرموقة السابقة ، وأحدث إله السماء " بوزيز – داس Posis Das. " زوجا للأرض . بعد ذلك لم يتعرف الهيلنيون على إلههم هنا . وكلما ثبت " زيوس " سلطانه انزاحت صورة " ديوس " إلى البحر لتصبح بوزيدون Poseidon [2] فقد كان لابد من وجود طريقة فقد أصبح زيوس بين الأرض وبين رفيقته " ديوني " رفيقته التي قد أتت معه فقد كان الحل الأمثل أن

(1) أديان العالم – ص53.

(2) المعتقدات الدينية لدى الشعوب : ص 64.

تختفي " ديونى " ويقبل " زيوس " الأرض لتكون رفيقة له وبهذا أحدث زواج السماء الأرض وبهذا الزواج وفى نظر اليونانيين أصبحت الخصوبة مضمونة [1] .

ولما كان من الطبيعي أن يعبد إله السماء فوق الجبال ، اتخذ " زيوس " عرشه فوق أعلى جبل وهو جبل أوليمبوس Olympus حيث شيد فيما بعد محرابه فوق إحدى القمم المنخفضة ، رغم وجود عروش كثيرة له ، في الأكرويول في أرجوس Argos وفى جبل كورييوس Coressus في أفسس ، وفى جبلين في أنطاكية .

وقد مر الإله العظيم " زيوس " بألوان من التحولات المختلطة ، ففي كريت حيث وجدت حكايات متعددة عن مولد زيوس ، امتزج بالإله المحلى للخصوبة ، وتوحي أسماؤه المتعددة بأنه كتبت له السيادة على وظائف معظم الآلهة المتخصصين . فقد أدرك اليونانيون مبكرين ، على نحو غير عادى ، وجود إله عال محيط بكل شيء ، وأصبح زيوس هو الإله الذي يرعى الاستقامة ، وظهر اتجاه نحو وحدانية ممكنة .

وكذلك نلتمس اتجاه نحو الوحدانية وإن كانت أيضًا ليست خالصة من أفلاطون حيث إنه مع اعترافه بالآلهة المتعددة إلا أنه جعلها خاضعة لإله واحد فأفلاطون لم ينكر وجود الآلهة ، ولكنه قال إنها ليست ضالة عنيدة كما صورها هيرميروس ، ولا مسافة وراء العدالة المتحيزة كما صورتها الأديان السرية . إنما هي مسئولة أمام قوة عليا ، ومعتمدة عليها في أداء وظائفها ، وأن فوقها ، وراء كل المخلوقات والأشياء ، خالقًا أو صانعًا ، اتصف بكل القيم والكمالات السامية ، هو الخير ذاته الذي عرف منذ البدء المثل العليا – التي لم يخلقها هو – تلك المثل التي ألهمته ليخلق عالمًا بما فيه من

(1) المرجع السابق ص 65 بتصرف.

جبال ، وسهول ، وبحار ، وآلهة ، وبشر ، وحيوانات وهو الذي جسم الخير والجمال والحق في درجات متفاوتة . أما الإنسان فهو نفس في جسد ، وتفتقر نفسه إلى النمو والتطور نحو " الخير الأسمى " ، بحيث لا يضطر إلى معاناة الولادات المستمرة من خليقة إلى أخرى ، بل تنطلق نفسه توا إلى تلك الحالة التي تقدر فيها – مثل الله – أن تشاهد المثل العليا ، وتستمتع بها في كامل حقها وجمالها وخيرها . أما الآلهة فهي راغبة في أن يرعى كل إنسان نفسه رعاية صالحة ، ويسعى جاهدًا نحو الخير الأسمى الذي نصبه الله الإله الأعلى أمام عينيه [1] .

وبنفس الطريق نحو التوحيد ولكن بصورة مختلفة بعض الشيء فقد رأى أرسطو أن هناك سلسلة كبرى من الموجودات تبدأ من المادة الخالصة التي لا يمكن أن نعرفها ، في القاع ، وتسير صعد إلى الصورة الخالصة التي هي الله في القمة . وهى سلسلة تمتد من الإمكان البحت (أو الوجود بالقوة) إلى الفعل الكامل (أو الوجود التام) وينشغل الإله بتأمل ذاتي لا نهاية له ، فهو لا ينشغل بالعالم ، وإنما يحركه كما يحرك المحبوب محبه دون أن يحتاج إلى أن يقوم بأدنى حركة ، فهو المحرك الذي لا يتحرك . ووصف أرسطو الله بعدة خصائص من أهمها أنه المحرك الأول الذي يتحرك كل ما في العالم شوقًا إليه وأنه واحد في ذاته بمعنى أنه غير مركب من أجزاء حسية ، ولا من معان عقلية مضافة من خارج ذاته فهو بسيط في ذاته من كل وجه وهو واحد بالماهية والعدد لا ضد له [2] .

---

(1) أديان العالم – ص56.

(2) أرسطو : كتاب ما بعد الطبيعة – مقالة اللام ، يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص 178- 179.

وهذا التوحيد الذي ارتضاه أرسطو للإله وإن لم يكن توحيدً خالصًا إلا أنه مبادرة طيبة نحو توحيد الإله ووصفه بكل صفات الكمال فهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على سير وراء الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها إلا أنها فطرة غير موجهة في ذلك الوقت .

الآلهة عند الرومان

تعددت الآلهة عند الرومان القدماء ولم يعرف الدين الروماني أساطير[1] عن الآلهة ، ولا من أين جاءت وكيف جاءت . ولم يكن بين تلك الآلهة تزاوج ولم تلد أنسالاً ، ولم يكن في الدين أبطال نسجت حولهم القصص والأساطير كما فعل هوميروس مع اليونان [2] .

وعلى الرغم من تعدد الآلهة وكثرتها لم يكن لهم صورًا معينة فكان في بادئ الأمر مجرد أرواح وقوى عاشت في الحقول والمزارع ، ولم يرسم الرومان صورً لآلهتهم ، ولم يصنعوا تماثيل ، ولم يخلعوا عليها شخصيات معينة إلا مؤخرًا ، بعد أن تلقوا ذلك من اليونان [3]. فاتخذوا أصنامًا من الخشب ، ثم من الرخام على مثال أصنام اليونان [4] .

اهتمام الملوك بالآلهة :

تطورت العبادات والعقائد الريفية الزراعية ، ونسقت في نظام محكم . وكان لكبار الآلهة كهنة لكل منهما ، ولكن الحفلات الدينية القومية لم تكن دائمًا موكولة إلى أولئك الكهنة ، ففي عهد الملكية كان الملك هو رئيس

(1) أساطير : جمع أسطورة والأسطورة هي : رواية أعمال إله أو كائن خارق ما. نقص حادثا تاريخيا خياليا ، أو تشرح عادة أو معتقدا أو نظاما أو ظاهرة طبيعية ، انظر : أمين سلامة ، الأساطير اليونانية والرومانية ص10.

(2) أديان العالم – ص57 بتصرف.

(3) المرجع السابق ص 57 بتصرف.

(4) أبو زهرة : محاضرات في مقارنة الأديان ص115.

الكهنة يتولى كل الحفلات الهامة وكانت تلك الحفلات تجرى فيها مراسم معينة وتقدم الذبائح والتقدمات .

التوحيد عند الرومان :

لم يعتقد الرومان بوحدانية الخالق ، بل عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الضيعة التي تتجلى فيها أوامر ألهتهم ونواهيها . فهذا ينبت البذر وآخر يحمى الحقل ، وثالث يحرس الثمار ، وهكذا . ولكل رب اسمه وعمله ، فعندهم للسماء إله وللحرب إله وللشجاعة إله . كما كان عند اليونان [1] .

ومن هذه الآلهة " جوبيتر " وهو زيوس عند اليونان – يقال إنه وفد إلى إيطاليا من فوق الجبال كما فعل في بلاد اليونان ثم امتص خواص ووظائف الآلهة المحلية الصغرى ، وصار إليه الرعد والبرق والمطر ، ولأنه كان إله النور أيضا ، كانت أيام اكتمال البدر مقدسة له . وهو الذي سبق وقدر مصائر الناس . وقدم لهم إيماءات من نور للدلالة على أحداث المستقبل بعلامات في السماء وطيران الطير . وكان البرق في يده سلاح تأديب وانتقام للشر والأشرار ، وذلك لأنه كان قيمًا على شرائع الدولة وأحكام العدالة . وفى العصر المتأخر جعلوه حارسًا لرومية فكان له نصيب في الأمجاد الإمبراطورية التي اعتزت بها المدينة ، وخلعت عليه ألقاب تدل على العظمة والنصر ، والقوة والقهر . وكان يتعبد له . لولاة وحكام الأقاليم قبل مباشرة وظائفهم [2] .

ومن هذه الآلهة أيضا الإله مارس : وهو إله الحرب وقد كان في الأصل حامى الحقول والقطعان من القوى المعادية من حيوان أو إنسان أو قوة فوق الإنسان ، ولكنه اقترن بالحرب ، وكانت رموزه المقدسة الرمح والترس . كذلك الإله : يانوس : وكان يطلب عن البدء في أي عمل أو

---

(1) المرجع السابق ص 115.

(2) أديان العالم – ص58.

مشروع . كان إله البدايات وظل الحال على هذا الحال إلى أن دخل روما المستعمرون وأدخلوا معهم آراء جديدة على دين الرومان ، حملوا معهم آلهة جديدة دون أن يعتدوا على العقائد والطقوس القائمة ، وابتنوا هيكلاً للآلهة ووضعوا جوبتير ويون وفى هيكل واحد ، وهذا كان بداية لفكرة التزاوج بين الآلهة وكما تأثر اليونان بالمستعمرين " الأترسكيين" تأثروا أيضا بالطقوس اليونانية ، وانضمت إلى آلهتهم ، أرباب أخرى مثل هرقل ، وديونسيوس ، وأبلو ، وهرمس ، و أفرديت [1] .

وبهذا بدأت العقيدة في روما تتأثر حتى أصيب دين الدولة بنكسة واتجه البعض إلى الإلحاد الذي واجه الأبيقوريون ، أو مذهب الحلول الذي نادي بها الرواقيون وقد حاول أغسطوس قيصر أن يعيد العالم إلى حالته الطبيعية بإحياء الممارسات الرومانية القديمة وترميم الهياكل وحث الناس على الانخراط في سلك الكهنوت ، وبناء هياكل جديدة . ولكن لم يبد هذا نفعًا كثيرًا لأن الناس طاقت إلى عبادة إله واحد إلا أن هذا ليس كافيًا لأنهم مفتقرون إلى أكثر من مجرد الشرائع الشكلية والحكومة العادلة وطاف الناس إلى وحدة جامعة شاملة ، تستطيع أن تربط الإنسان والمجتمع والكون في رابطة واحدة وظل الحال هكذا إلى أن جاءت المسيحية .

مما سبق يتبين أن مرور الناس بمراحل مختلفة في عبادتهم وانتقالهم من دور إلى دور آخر وكون الالتفاف حول إله واحد له مطلق القدرة على تحديد العلاقة بين الإنسان والكون ليكون هو الهدف الأسمى والملاذ الأخير وهو السير وراء الفطرة الإنسانية إلا أن التخبط وعدم الاستقرار يكون نتيجة لعدم التوجيه و الإرشاد الذي هو دور الأنبياء والرسل ، وهذا ما حدث بالفعل في روما فقد كانت المسيحية هي الملاذ الأخير بعد هذه الفوضى والتخبط الذي اعتراها أخيرًا .

(1) المرجع السابق ص 59 بتصرف.

ولكن على الرغم من ذلك لم تستطع المسيحية بعد ظهورها القضاء على الإلحاد خاصة بعد استئثار رجال الدين بتفسير الكتاب المقدس وموقفهم العدائي من العلم فأدى ذلك إلى قيام ثورة دعت إلى فصل الدين عن العلم وتطور هذا المفهوم بعد ذلك إلى فصل الدين عن الدولة وهو ما يعرف بالعلمانية ولكن لا نستطيع الجزم بأن السبب الرئيس للإلحاد في ذلك الوقت هو معاداة الكنيسة للعلم فبعد ظهور الإسلام الذي اهتم بالعلم والعلماء واتفقت الآيات المقروءة التي نزل بها القرآن مع الآيات المنظورة في الكون وتحدث القرآن الكريم عن كثير من الحقائق العلمية التي اكتشفها العلماء بعد ظهور الإسلام بعدة قرون وكان ذلك بمثابة الأدلة العلمية على وجود الله بالإضافة إلى الأدلة العقلية ومخاطبة القرآن عقول الناس قبل قلوبهم وهذا لم يتوفر في المسيحية (بعد تحريفها) التي اعتمدت على قلوب الناس وعواطفهم وعلى الرغم من ذلك كله ظل كثير من الملاحدة على إلحادهم باختلاف صور الإلحاد فقد تمثل الإلحاد في صور متعددة فمن المعروف أن الإلحاد له صور متعددة ظهر بعضها في القدم وقد تمثل ذلك في الطبيعيين الذين جعلوا الطبيعة هي الله وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم الإسلام فيما بعد بالدهريين وقد تحدث القرآن الكريم عنهم قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴿٢٤﴾ الجاثية:24. فهؤلاء الطبيعيون لم ينكروا فكرة وجود الله ولم ينكروا الألوهية وإنما وحدوا بين الله والطبيعة كذلك أيضا الذين عددوا الآلهة كما رأينا في الديانات القديمة لم ينكروا الألوهية إنما رأوها في صور متعددة كذلك الذين آمنوا بإله واحد وأشركوا معه آلهة أخرى في العبادة وقد تحدث القرآن الكريم عنهم قال تعالى : ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴿٦١﴾ العنكبوت:61

فهؤلاء الذين وحدوا بين الله والطبيعة أو الذين عددوا في الآلهة أو الذين أشركوا مع الله في العبادة لم تفسد فطرتهم في التدين ولا العبادة ولكنها حادت عن الصواب فإذا وجهت إلى الطريق الصحيح الذي هو دور الأنبياء والمرسلين فقد تعود إلى رشدها وإلى عبادة ربها وخالقها الذي أخذ العهد عليها قبل خلق الأجسام بعبادته وحده دون شريك له قال تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾**﴾الأعراف:172 أما أولئك الذين أنكروا الدين وأنكروا وجود الله وتمثل عندهم الإلحاد في أبشع صوره وهذا ما ظهر في العصر الحديث فالخوف كل الخوف منهم لأن هؤلاء فسدت فطرتهم وختم على قلوبهم وعلى أبصارهم فأمامهم الأدلة العلمية الدامغة على وجود الله تعالى كما ذكرت من قبل والعقلية فقد خاطب الإسلام عقولهم وتحدث وواقعهم العلمي إلا أنهم وضعوا أصابعهم في آذانهم وأصروا واستكبروا استكبارا وفيما يلي عرض لإحدى الحركات والدعوات الإلحادية في العصر الحديث والمعاصر أنكرت الدين وأنكرت الله ووصل إنكارها إلى حد رفض فكرة الدين وفكرة الله وانحط عقلها إلى أدنى درجة فقد كان عقل الإنسان البدائي في أقدم عصور التاريخ أرقى منها بكثير حينما ربط بين الأمن والأمان وبين الإله وأنه بقدر التضرع والعبادة يكون الأمان فقد عرف ذلك على الرغم من عدم توفر الأدلة الكافية على وجود الله سوى الكون وأحداثه المرئية فقط وحسه ووجدانه الفطري الذي فطره الله عليه فهذا بالمقارنة بالدعوات الإلحادية التي وجدت في العصر الحديث والمعاصر على الرغم من توفر أدوات العلم والتكنولوجيا التي اتفقت مع ما جاء به آخر الأديان السماوية وهو الإسلام وهذا ما حدث بالفعل مع الماركسية التي نحن بصدد الحديث عنها .

الماركسية والدين:

بداية أقول امتاز فلاسفة المادية والإلحاد بأسلوبهم الساحر ودهائهم الماكر ، فأسروا بهما قلوب الناس ! .. لقد كانت ألسنتهم حدادًا زلقة ذات بيان آخَّاذ ، فقد ساعدتهم هذه العوامل في النفوذ إلى أعماق السواد من عامة الناس فأثروا بهم وبعقيدتهم ومن هؤلاء (جيرمى بنثام 1748 – 1832م) الذي اعتمد في فلسفته الشاذة على نبذ العواطف والعقائد الدينية وتراث الماضي وقيمه وأخلاقه وبهذا فقد وضع جيرمى حجر الأساس في المذهب النفعي الذي تجاهل القيم والمثل العليا والأخلاق الحميدة الذي مهد بدوره إلى ظهور الشيوعية [(1)] .

فقد قامت الماركسية على أساس مبدأ النقيض أو التطور وذلك من حيث خضوع كل كائن مادي أو قيمه ومبادئ روحية إلى ظاهرة التطور والرقى عما هو أدنى إلى مراحل عليا فأخذت تدعى بأنه لا يوجد هناك خلود للقيم الأخلاقية في الحياة الإنسانية من حيث أن الخلود يتعارض والطبيعة المتطورة . بينما من دعائم الرسالات السماوية هي خلود تعاليمها وقيمها وإن كانت لها من المرونة ما تتفق وتطور العقل البشرى إلا أنها لا تحيد عن مضمونها الحقيقي وغايتها الراسخة المتكاملة [(2)] .

الإلحاد في الماركسية :

بالإضافة إلى مبدأ رفض القيم الإسلامية التي قامت عليه الماركسية فقد قامت على رفض الله ورفض الدين وهو ما يعرف بالإلحاد الماركسي فرفض ماركس الله من أجل تأليه الإنسان فالألوهية كامنة في الإنسان وكل وصف للإله لا بد أن يكون للإنسان بدلاً منه يقول ماركس في رسالة الدكتوراه سنة 1841 : " إن الفلسفة ، طالما وجدت قطرة دم ينبض بها قلبها المنتصر على الكون ، الحر من كل قيد ، ستقول لأعدائها مع أبيقور : ليس

(1) الإسلام يتحدى الغرب الملحد : د/ محمد نبيل النشواتى ص 26 ، 30-31 ، 41-43.

(2) الصراع الفكري بين المادية والروحية/ السيد كمال الدين رفعت ص 138.

الكافر من يحتقر آلهة الخمور ، ولكن ذاك الذي يتبنى الأفكار التي يكونها الجمهور عن الآلهة . الفلسفة لا تخفى موقفها هذا . إن إعلان بروميثيوس : مجمل الكلام ، أننى أكره كل الآلهة ... هو إعلانها ، هو خطابها أبدًا ضد كل آلهة السماء والأرض الذين لا يعترفون بالوجدان الإنساني كالألوهة الأسمى . هذه الألوهة لا تقبل بمنافس [1] .

من النص السابق يتبين أن إلحاد ماركس يبدو كتمرد على الله من أجل تأليه الإنسان وقد استوفى ماركس فكرته هذه عن الإلحاد من " الفيلسوف فورباخ (1804 – 1872م) الذي يقول في مؤلفه " جوهر المسيحية " : " إن نقطة التحول الكبرى في التاريخ ستكون اللحظة التي يسعى فيها الإنسان أن الإله الوحيد هو الإنسان نفسه " وما دام لا يوجد إله غير الإنسان إذا فليس هناك دين وإن كان هناك فمن صنع الإنسان ، وقد سار ماركس على نهج الفيلسوف الألماني فورباخ الذي كان مثله تلميذًا لهيغل والذي اعتقد أن الدين نشأ من كون الإنسان ، عندما أخذ يعي العظمة الكامنة فيه ، قذف في سماء وهمية . صورة هذه العظمة وسماها الله وأخذ يتعبد لها غير عارف أنها مجرد صورة لجوهره الإنساني . وهكذا أفقر الإنسان نفسه من قواها وميزاتها ينسبه إلى إله من صنع خياله ، فلم يعد بوسعه أن يحقق الطاقات الكامنة فيه لأنه اعتبرها خارجة عنه ، محققة في كائن وهمي . يقول فيورباخ في هذا الصدد : إن الآلهة هم تحقيق ما في الإنسان " ويقول أيضًا : " إن ميزات الجوهر الإلهي هي ميزات الجوهر الإنساني " .. وأيضا : " ما هو جوهري في تحديد طبيعة الله مستمد من طبيعة الإنسان . إن الإنسان يجرد من كل ما يعطى لله . يجب أن يفقر الإنسان لكي يغنى الله ... يؤكد الإنسان في الله ما ينكره في ذاته " [2] .

(1) إله الإلحاد المعاصر ص 4.

(2) Fcuerbash : I Essence du christainisme – trade fr .de I.Roy 1864 p

ويقول أيضا في إنكاره للإله : " لا يمكن أن يوجد الإله إلا في الإلهام وفي التخيل ، لأنه ليس شيئا آخر سوى ماهية التوهم وسوى ماهية القلب البشري " [1] .

هذا هو موقف فورباخ من الدين وعلى الرغم من تبنى ماركس أفكار فورباخ عن الله وعن الدين إلا أن ماركس اعتبر تحليل فورباخ للدين تحليل ناقص ومبتور وذلك لأنه اعتبر الإنسان كائنًا مجردًا ولم ينظر إليه في واقعه الاجتماعي . يقول ماركس تعليقًا عن تحليل فورباخ للدين : " لم ير فورباخ أن الشعور الديني نفسه هو من نتاج المجتمع وأن الفرد المجرد الذي يحلله ينتمي إلى شكل اجتماعي معين " [2] .

وبهذا فالفكر الماركسي يحارب الدين في قداسته[3] .ولم يكتف ماركس في أن فكرة الإنسان عن الدين ترتبط بواقعه الاجتماعي وهو الجانب الذي أغفله " فورباخ " من وجهة نظر ماركس بل ربطها أيضا بواقع الإنسان الاقتصادي ، فقد بين أن العامل في المجتمع الرأسمالي ليس حر التصرف بعمله لأنه مرغم ، كي يعيش ، أن يبيعه(العمل) للرأسمالي الذي يتصرف به كيفما يشاء على هواه مدة العمل وشروطه الآلية والصحية وأجرته وكذلك ليس العامل في مجتمع كهذا النتاج تنتزع منه ، فيحرم هو من ثمرة جهوده فيما يستفيد منها أو يغتني صاحب العمل . هكذا يصبح العامل عبدًا وإن لم تكن عبوديته مفضوحة كما كانت عند الأقدمين . إنه سلعة يتاجر بها . إنه يفقد ميزاته الإنسانية ويتحول إلى شيء . طبقي مبنى على الاستغلال وقيام دولة

.50-52. نقلا عن كتاب : إله ماركس ص8 .

(1) انظر : FEUEBACH:la religion.librairie international.paries.1964 p151، د/محمود يعقوبي : خلاصة الميتافيزيقا ،ص11.

(2) Septieme These In Morceaux Choisis p .51.

(3) د/محمد البهي : تهافت الفكر المادي والتاريخي بين النظرية والتطبيق ص8.

تساند المستغلين وتحافظ على امتيازاتهم ، وبهذا فالدين خدعة مصطنعة ولدتها الظروف الاقتصادية والتاريخية التي نجمت من الصراعات المادية وتحالف طبقة الإقطاع والرأسماليين ، ضد العامة والفقراء لينشغل هؤلاء بإقامة الطقوس والشعائر وينصرفوا تحت وقع التخدير عن حقوقهم في هذه الحياة ، انتظار للفردوس الأخروي و يصبروا على ظلم الأغنياء وجشعهم ويتفرغ الأخرون لإحراز الثروة وامتصاص دماء الفقراء، فالدين– في نظر الماركسية –من اختراع العقل وصنعه ،وبقاء الدين وانتشاره مرهون بجهل الطبقات الفقيرة ، وعدم وعيها بإبعاد المؤامرة التي حيكت ضدها ، ولا سبيل إلى توعية هذه الطبقات بحقوقها إلا بإزالة الدين الذي يخدرها عن طلب حقوقها، ويعطلها عن إدراك مركزها في الحياة [1].

هذا الوضع يعبر عن ذاته ، بنظر ماركس ، في الدين . ذلك الإنسان الذي أضاع ذاته اقتصاديًا واجتماعيًا ، سواء أكان عبدًا أو رقيقًا أرضيًا كما في الماضي أو كادحًا مستغلاً كما هي الحال في الحاضر ، هذا الإنسان شقي . كيف يمكنه إذًا أن ينجو من شقائه ؟ لن ينجو إلا بإضاعة ذاته على صعيد آخر ، على صعيد الدين . هذا المظلوم الشقي سوف يحلم بكائن مثالي يتحلى بكل الصفات التي يملكها ، هو الإنسان ، ولكنه لا يستطيع أن يحققها بسبب عبوديته . كل ذلك الغنى الذي يحسه في ذاته من عدل وحنان وحب وعلم وحكمة وحرية وإبداع ، كل تلك الكنوز التي لا يستطيع أن يحققها لأنه مظلوم ومستعبد لآخر ، كل تلك الكنوز يقذفها الإنسان في كائن يسميه الله . ويتمنى أن يشركه هذا الكائن يومًا في هذه الصفات فيتضرع إليه . وبما أن شقي في هذه الحياة يحلم بحياة أخرى حيث سيكون سعيدًا لأنه أخيرًا سيحقق ملء ذاته " [2] .

---

(1) انظر د. عبد المعطي البيومي الماركسية في مواجهة الدين ، ص 19 .

(2) إله الإلحاد المعاصر ص 10.

إذا فالدافع الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه الإنسان هو الذي جعله يحلم بوجود إله يكون ملاذه من الظلم الاجتماعي والاقتصادي الواقع عليه ولكن كل ما يسعى له الإنسان ويضعه في كائن غيره يسميه الله كامن في ذاته وإنما خوفه الشديد من عيشته وواقعه هو الذي يجهل حقيقة ذاته ولهذا كانت الماركسية هي الواقع الذي يجب أن يعيش فيه الإنسان ليحس بذاته وكيانه فإذا حدث ذلك أصبح في غير حاجة إلى الله أو الدين بشكل عام ، فقد جاء في كتاب " أصول الفلسفة الماركسية " : ولهذا كان الفلاح في روسيا القديمة – وقد أرهقه الفقر وفقد كل أمل في المستقبل – يستسلم للإرادة الإلهية . ولقد جاءت الثورة الاشتراكية فوضعت في يد المجتمع السيطرة على قوى الإنتاج ، ومكنته في نفس الوقت من إدارة المجتمع بصورة علمية ، كما زادت سيطرته على الطبيعة ، فوجدت عندئذ الظروف الموضوعية لتتمحي من وعى الناس الأفكار الدينية التي ولدتها ظروف موضوعية أخرى " [1].

والذي جعل الماركسية تؤمن بما تدعيه بأن الضعف الاجتماعي والاقتصادي هو الذي ولد فكرة الله أو الدين لدى الإنسان وأنها من صنع خياله لما يعيشه من واقع مرير هو الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة الماركسية المادية وهى " أن المادة متكفية بنفسها مستغنية عن خالق يوجدها " [2] .

وهذا الخالق – الله – الذي تتكره الماركسية – هو الذي يتحدث عنه " لينين " فيقول : " سواء في أوروبا أو في روسيا ، فإن أي دفاع أو تبرير لفكرة الله – مهما جيدًا ، ومهما حسنت نواياه – هو تبرير للمرجعية " [3] –

---

(1) أصول الفلسفة الماركسية – ج1 ص 297.

(2) المعجم الفلسفي : د/ مراد وهبة ، مادة " مادي – مذهب ".

(3) الموسوعة الفلسفية : مادة تشييد الله.

فالله– في نظر المادية الماركسية – خرافة .. ومن الأقوال المشهورة في الماركسية : (إن الشعوب في لحظات الضعف ، اخترعت الآلهة ، وفى لحظات القوة حطمتها " !.. .

هذا هو النظام الماركسي يقوم على النفاق والتزوير والمخادعة [1].

مما سبق يتبين لنا النظرة المادية الماركسية لكل ما في الوجود ، فلا شيء في الوجود سوى المادة ، ولا في الطبيعة .. فالمادة في نظرهم "مستكفية بنفسها مستغنية عن خالق يوجدها"[2]وهي أزلية وتطور العالم إنما يتم تبعا لقوانين حركة المادة فليس العالم محتاجا في تطوره إلى عقل كلي لأن قوانين التطور كامنة في المادة ذاتها وبمقتضى هذه القوانين تتشكل الأشياء من صورة إلى صورة حتى إن الفكر صورة من صور المادة وأن ردود فعل العالم الخارجي على الإنسان تنعكس على مخه في صورة أفكار وميول[3] .فهذه النظرة قد قدمت في نشأة الفكر – ومنه الدين – وفى علاقته بالمادة والواقع ، النظرية التي يعرفها كل من قرأ الماركسية نظرية " البناء الفوقي والقاعدة المادية " .. فالمادة والواقع – الاقتصادي والاجتماعي ، والفسيولوجي – هما مصدر كل ألوان الفكر ، الذي هو البناء الفوقي الذي تصنعه وتشكله المادة والواقع ، ليعود ثانية – هذا الفكر – كي يؤثر في الواقع ، في جدل مستمر ، صاعد من الواقع ، وعائد للتأثير في الواقع .. ولا شيء وراء ذلك الواقع .. وبعبارات علماء الماركسية ، التي صاغتها موسوعاتهم الفلسفية : " فالفكر هو النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم

---

(1) انظر:عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني – صراع مع الملاحدة ص77 بتصرف.

(2) انظر:د/مراد وهبة – المعجم الفلسفي ، د/محمد عمارة – التفسير الماركسي للإسلام ص34.

(3) انظر:انجلز .فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ترجمة جورج استور ص 50،و انظر محمد عمارة المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، ص 47 ، و انظر د. عبد المعطي البيومي الماركسية في واجهة الدين ص 20.

عضوي خاص . وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات .. ويظهر الفكر خلال عملية أنشطة الإنسان الاجتماعية والإنتاجية ، ويضمن انعكاسًا وسيطًا للواقع ، ويكشف الروابط الطبيعية داخله .. فالفكر نتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه ، ومن حيث نتائجه والمادية الجدلية تعتبر الفكرة انعكاسًا لواقع موضوعي ، وهى تؤكد في الوقت نفسه التأثير العكسي للفكرة على تطور الواقع المادي ، بهدف تحويله ، وتتخذ الماركسية نقطة انطلاقها مما يكمن في أساس كل مجتمع إنساني ، أي طريقة الحصول على وسائل العيش ، وتقييم الصلة بين هذه الطريقة والعلاقات التي يدخل فيها الناس في عملية الإنتاج وهى – (أي الماركسية) – ترى في نسق هذه العلاقات الإنتاجية الأساس والقاعدة الحقيقية لكل مجتمع ، عليها يرتفع بناء فوقى [1] سياسي وقانوني واتجاهات مختلفة للفكر الاجتماعي .. فالمادة والواقع – الاقتصادي والاجتماعي – هما القاعدة التي يتشكل فيها ، ويخرج منها ، ويصدر عنها الفكر بكل ألوانه : المفاهيم ، والأحكام ، والنظريات ، والديانات . وليس هناك مصدر للفكر خارج الواقع ، أو مفارق للمادة والطبيعة .

تلك هي النظرة المادية الماركسية للفكر والدين والخلق والخالق ، وللعلاقة بين البناء التحتي – المادي – والبناء الفوقي – الفكري – .. والتي يعلمها عوام وخواص الماركسيون ، والدارسون للماركسية ، والقارئون لأدبياتها والحقيقة أن هذه النظرة المادية البحتة قد جانبها الصواب فالإنسان مكون من مادة وروح فكما أنه بحاجة إلى إشباع حاجاته المادية فهو في حاجة أيضًا إلى حاجاته الروحية فالإنسان على مر العصور قد علم أن حياته الدنيا ليست خالدة وأن الخلود الحقيقي هو في حياة الروح التي تكون

(1) الموسوعة الفلسفية : مادة تشييد الله.

بعلم هذه الحياة ولذلك نجد اهتمامه الأكبر كان منصرفًا إلى بناء المقام والاهتمام بالحياة الأخرى وقد لاحظنا ذلك في أغلب الديانات القديمة كما أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي لم يجبر الإنسان على التدين والتفكير إلى كائن أعلى منه صحيح أن من الأسباب الرئيسية لتدين الإنسان القديم هو خوفه من الكوارث الطبيعية فكان يلجأ إلى ملاذ يحميه من تلك المخاوف إلا أن هذا لم يكن سببًا وحيدًا وأكيدًا فالباعث الفطري على التدين والحاجة الدائمة إلى كائن علوي مسئول عنه يستغاث به وقت الشدة وتقدم له الصلوات والتذكر وقت النصر فهي الفطرة وليست غيرها هي التي دفعت هؤلاء هي التي جعلت الدين للفقير والغنى للعبيد وللملوك وقد رأينا أن الدين كان جل اهتمام الملوك إلى توحيد الديانات المتعددة في ديانة واحدة يدين بها الجميع أو توحيد الآلهة إلى إله واحد يعبده الجميع ويكون هو الإله الرسمي للدولة أو الدين الرسمي لها فالفقر والواقع المرير الذي تحدث عنه ماركس بأنه هو السبب في الفكرة الخيالية عن تصور الله فعبادة الله سواء كان دين توحيدي سماوي وهو الله الواحد الأحد أو في عبادة وضعية تمثل في نوع من الآلهة استتند على فطرة الإنسان التي فطر الله عليها وهى الميل للعبادة والتدين والخضوع لذات تكون مصدر ملاذه وآمنة وقوته ونصرته سواء كان عبدًا أو ملكًا كما رأينا في الديانات القديمة والعجب أن القدماء كانوا في أزمنة بدائية لم يظهر فيها العلم والتكنولوجيا والأدلة العقلية العلمية الدامغة التي تؤكد وجود إله متصف بكل صفات الكمال ومنزه عن كل نقص وأنه أوجد العالم بكل ما فيه بهؤلاء الماركسيين بدقة وإحكام ووجه دائمًا لهم لخطاب في النظر وإعمال العقل والفكر لمعرفته والوقوف على الحقائق الإيمانية ولكنهم كانوا كالأنعام بل هم أضل ، فعلى صفحات وجه هذا الدين الحنيف .. حجة ناهضة لا تنهض معها حجة للذين يزعمون أن الدين خدر للشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ، ويلهيها بالآخرة عن نعيم الدنيا ليستأثر بها خلسة – ما طاب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه.. فالإسلام يأبى

للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا ويأمره أن يأخذ من طيباتها ، ويعيد عليه هذا الأمر في آيات متعددة من القرآن الكريم [1] .

قال تعالى : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّـهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾القصص :77 وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ**...﴾ المائدة :87

(1) عباس محمود العقاد : الشيوعية والإنسانية في شريعة الإنسان ،ص 277.

الخاتمة

وختاما للحديث عن أشهر الديانات القديمة وموقفها من التدين ومن الإله وبالمقابل موقف الماركسية إحدى الدعوات الإلحادية التي لا تعترف بإله خالق فقد توصلت للنتائج التالية :

1- احتل الدين مكانة بارزة لدى الأمم القديمة على مر العصور.
2- نال رجال الدين مميزات كبيرة لم تتوفر لغيرهم اهتماما بشأنهم وذلك لعلو قدرهم فقد رفع الدين مكانتهم بين الناس .
3- لم تخل أمة من الأمم من دعوات التوحيد فكان هذا صدى لدعوات الأنبياء الذين وردوا على هذه الأمم.
4- سادت فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها (الميل للتدين) في كل الأمم .
5- لم يفصل بين الدين والدولة في الأمم القديمة فقد كان إله الملوك هو إله الفقراء يحرص الجميع على تقديسه والسعي إلى إرضائه.
6- الأساس الذي بنت عليه الماركسية فكرتها عن رفض الدين والإله أساس واه وضعيف أمام الأدلة العقلية والعلمية الدامغة التي اتفقت مع دعوات الأنبياء بوجود إله خالق لهذا الكون متصف بكل كمال وهو المستحق وحده للعبادة والطاعة.

أهم المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

3-حبيب سعيد:(أديان العالم الكبرى) دار التأليف والنشر ،المكتبة الأسقفية بالقاهرة

4-اميل بوترو:(العلم والدين في الفلسفة المعاصرة) ترجمة:د.أحمدفؤاد الأهواني ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ،1973م

5-ويل ديورانت : (قصة الحضارة) ج2(الشرق الأدنى)ترجمة:محمد بدران ،بيروت

6-جفري بارندر:(المعتقدات الدينية لدى الشعوب) ترجمة:د.إمام عبد الفتاح إمام ،مراجعة:د.عبد الغفار مكاوي،سلسلة عالم المعرفة سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ،1413هـ/1993م.

7- البيروني : (تحقيق ما للهند من مقوله)دائرة المعارف العثمانية بالهند 1377هـ/1958م.

8- أرسطو(أرسطوطاليس) : (كتاب ما بعد الطبيعة) دار المشرق، بيروت لبنان .

9- يوسف كرم : (تاريخ الفلسفة اليونانية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1355هـ/1936م

10-محمدأبو زهرة(الإمام) :محاضرات في مقارنة الأديان،القسم الأول الديانات القديمة ،دار الفكر العربي

10-محمد نبيل النشواتى(دكتور): (الإسلام يتصدى الغرب الملحد) دار الفكر ،دمشق ،الطبعة الأولى ،1431هـ/2010م

11-محرز الحسيني: (الصراع الفكري بين المادية والروحية)تقديم: السيد كمال الدين رفعت،دار لوران للطباعة والنشر

12-إله الإلحاد المعاصر (ماركس -سارتر)،منشورات النور الأرثوذكسية لبنان

13-(أصول الفلسفة الماركسية)تأليف:جورج بوليترز وجي بيتس وموريس كافيين ، تعريب:شعبان بركات ، ج1 -منشورات المكتبة العصرية بيروت لبنان

14-مراد وهبة(دكتور): المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة ،2007م"

15-عبد الرحمن بدوي (دكتور):الموسوعة الفلسفية ،نسخة الكترونية.

16-عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني(صراع مع الملاحدة) دار القلم ،دمشق- الطبعة الخامسة 1412هـ/1992م

17-يارسوف تشرني(الديانة المصرية القديمة) ترجمة :د.أحمد قدري ،مراجعة :د.محمود ماهر طه ،دار الشروق - الطبعة الأولى 1416هـ/1996م

18-محمد عمارة(دكتور):(التفسير الماركسي للإسلام) دار الشروق ،الطبعة الأولى 1417هـ/1996م

19-محمود يعقوبي(دكتور):(خلاصة الميتافزياء) دار الكتاب الحديث 1422هـ/2002م

20-تاريخ المعتقدات والأديان :المرك الجامعي بالوادي ،معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية ،قسم التاريخ

21-محمد البهي(دكتور):(تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظر والتطبيق) مكتبة وهبة ،القاهرة

22-والاس بدج :(آلهة المصريين) ترجمة:محمد حسين يونس ،مكتبة مدبولي ، 1418هـ/1998م

23-أمين سلامة:(الأساطير اليونانية والرومانية)، بدون ذكر تاريخ النشر.

24-عباس محمود العقاد(الأستاذ):(الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام) منشورات المكتبة العصرية ،صيدا بيروت

25-فرانسوا ديماس:(آلهة مصر) ترجمة :زكي سوس،الهيئة العامة المصرية للكتاب،1998م.

26-كامل سعفان (دكتور):(معتقدات أسيوية) دار الندى الطبعة الأولى 1419هـ 1999م

27 د. رؤوف شلبي : الأديان القديمة في الشرق – دار الشروق.

28- الياس انطوان الياس : القاموس العصري – انجليزي – عربي، المطبعة العصرية ،1969م .

29- د .علي سامي النشا: نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤهلة ، دار السلام1949 م.

30- د. علي عبد الواحد وافي : الطوطمية أشهر الديانات البدائية ، دار المعارف ،مصر ،1959م.

31- والاس بدج (آلهة المصريين) ترجمة : محمد حسين يونس ، مكتبة مدبولي ، 1418هـ - 1998م.

32-د.محمد عبد المجيد لاشين (من أنباء الرسالات السماوية) ،دار الأفاق العربية ، الطبعة الأولى هـ2009/1430م.

33- ابن الجوزي(أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق :عبد القادر عطا ،ومصطفى عبد القادر عطا ، ط/1،دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1992م.

34- تاريخ اليعقوبي ، لأحمد بن أبي يعقوب اسحاق ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ.

35-الكامل في التاريخ، ابن الأثير(أبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد)،ط /3 ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1980م.

36- البداية والنهاية ،لأبي الفداء بن كثير، تحقيق د.أحمد أبو ملحم وآخرين ، ط / 5،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989م.

37- مسالك الأبصار (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري) تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2003م.
38-ابن أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
39- المسعودي (علي بن الحسين) التنبيه والإشراف، تصحيح عبدالله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1357هـ.
40- تيموثي فريك ،وبيتر غاندي ترجمة : عمر الفاروق عمر "متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة" ص240 ط1 المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،2002م.
41- عزت السعدني: الوصايا المصرية العشر ، مقال في صحيفة الأهرام المصرية ، عدد 43146 ،22يناير 20005م.
42- د. طلال حرب: معجم أعلام الأساطير والخرافات، ط/ 1، دار الكتب العلمية بيروت ،1999م.
43- صحيح البخاري(الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل) تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ، ط / 3 ، دار بن كثير – اليمامة ، بيروت ، 1997م.
44- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة نخبة من العلماء بإشراف الدكتور سمير سرحان ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 2005م.
45- تاريخ الطبري(محمد بن جرير الطبري)" تاريخ الرسل والملوك" تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ط/2،دار المعارف ،القاهرة ، بدون تاريخ.
46- قصص الأنبياء ،لأبي الفداء ،إسماعيل بن كثير ،تحقيق د /عبد الرحمن الهاشمي ، دار الافاق العربية، القاهرة ،2005م.
46- د. عبد المعطي البيومي : الماركسية .. في مواجهة الدين ، ط/دار الأنصار ، بدون تاريخ.

47- انجلز . فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ، ترجمة جورج استور ،ط/ دار الفكر الحديث بدمشق.

48- د .محمد عمارة : المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ،ط/ دار المعارف بمصر.